وبترولـه سوف يعمل أيضاً على تأمين تفوّقه كقوة عظمى لعدم وجود قوة أخرى تنافسه. وهذا يؤكد انه في حال عدم تنبّـه شعوب الخليج والعالم العربي، سوف تتمّ ممارسة الحكم على هذه المنطقة حسب مشيئة الولايات المتحدة الاميركية. وعلى سبيل المثال، سوف يتمّ تحديد سعر البترول بشكل يؤمن المصالح الاميركية الخاصة ويتجـاهـل مصـالح الآخـرين». وسأل صدام: «أليست واشنطن هي نفسها التي تؤمّن الهجرة اليهودية الى اسرائيل؟ أليست هي نفسها التي تُسيِّر سفنها ودورياتها في مياه الخليج، بالرغم من انتهاء الحرب الايرانية ـ العراقية؟» (ص ١٣). ورأى الكاتبان ان «هناك قناعة فرضت نفسها على صدام حسين، وكان لها أبلغ الأثر في المستقبل، وقد توصّل اليها بفعل الحوار الذي أجراه مع عدد من المسؤولين من أمثال جون كيلي... وهذه القناعة هي التالية: الادارة الاميركية ضعيفة الارادة، لا تعرف ما تريد، وتميل الى المهادنة وتتجنّب المجابهة» (ص ٤٤)؛ وصدام «بشخصيته الانفعالية والذكية، وبادّعائه وافتخاره وشعور العظمة لديه، أخذ... ينظر الى العراق ويعتبره قلعة حصينة قادرة على تحدّي العالم بأجمعه» (ص ٣١).

هل كان هدف صدام حسين لعب دور في منطقة الخليج فقط، أم انه كان يطمح الى دور على مستوى منطقة الشرق الاوسط؟ ان مبادرته التي طرحها في ١٢/٨/١٩٩٠، والتي تدعو الى حل مشكلات الشرق الاوسط كافّة، تفيد بأن طموحه تجاوز حدود منطقة الخليج. لكن الكاتبين نقلا عن حوار دار بين الرئيس صدام حسين والرئيس ياسر عرفات، في نهاية آب (اغسطس)، قول صدام حسين: «الآن، وقد تفاقمت أزمة الخليج، هل يمكنني ان اختزلها الى المطالبة بجزيرتين وبضع آبار نفط، خاصة بعد ان انسحبت من شط العرب؟ هذا لا يكفي. اذا قلت للشعب العـراقي اني انسحب لأني وجدت حلاً لمشكلة بحجم القضية الفلسطينية، فانه سيتفهّم؛ ولكن اذا اقدمت على الانسحاب فقط من أجل الاحتفاظ بالجزر وآبار النفط، فان الشعب لن يقبل بذلك أبداً، وهذا أفدح من خسارة الحرب. لم أقل، أبداً، اني مستعد للانسحاب، لماذا؟ لأني أعتقد بأن الجنود العراقيين سيفقدون معنوياتهم عندما يشعرون بأني مقتنع بالانسحاب». وأضاف: «اذا تقدّمت بعرض للسلام، عليّ أنا ان اقدّم التنازلات. وامّا اذا جاءت العروض من الآخرين، فحينها أحصل أنا على التنازلات» (ص ٢٣٣).

هل شعـر الرئيس العراقي بأنه تورّط بالدخول الى الكويت؟ وعلى ماذا راهن في حال وقوع الحرب؟ ذكر الكاتبان ان الرئيس صدام حسين تناول، في حديثه مع الرئيس عرفات، موضوع الحرب ضد الولايات المتحدة الاميركية، وقال صدام: «من الواضح انه منذ اللحظة الاولى للهجوم عليّ، سأضرب اسرائيل. فدخول اسرائيل على خط النزاع سيغيّر آراء ومواقف العرب، وسينظر الى هذا الهجوم على العراق بوصفه مؤامرة اميركية ـ صهيونية؛ والعـديد من البلدان، خاصة مصر وسوريا، التي تؤيد حالياً الولايات المتحدة الاميركية ستغيّر موقفها عندما تكتشف ان اسرائيل تشارك بالحرب» (ص ١٩٧).

اميركا، بدورها، هل وضعت نفسها في ورطة، وبالتالي أعدّت للحرب كمخرج لا بدّ منه؟ نقل الكاتبان عن مسؤول اميركي قوله: «ان احتلال الكويت لا يشكّل بحدّ ذاته تهديداً للمصالح الاميركية؛ فالتهديد الحقيقي يكمن في ما سيحصل عليه العراق، الذي يمتلك ٢٠ بالمئة من الموارد النفطية في العالم، من قدرة، حين سيسيطر على منظمة الدول المصدّرة للنفط وعلى الشرق الاوسط، مهدّداً اسرائيل، وساعياً الى الحصول على القنبلة الذرية» (ص ١٦٣)؛ كما ان مسألة التدخّل الاميركي العسكري في منطقة الخليج لم تأت وليدة أزمة العراق ـ الكويت، كما أورد الكاتبان: «فمنذ عشر سنوات، لم يغب التدخّل العسكري في الخليج عن الاحتمالات الواردة في ذهن الادارة الاميركية؛ واثر سقوط شاه ايران، [في] العام ١٩٧٩، انشأ [الرئيس] جيمي كارتر قوة تدخّل سريع لحماية حقول النفط، ووضع خطة سرية يحمل ملفّها الرقم (٩٠ ـ ١٠٠٢). ولكن أمرين لم تأخذهما الخطة في الحسبان: فقدان الكويت واجتياح العراق لها» (ص ١٢٦ ـ ١٢٧). وفي مسار تطوّر تلك الازمة، كان الرئيس الاميركي، بوش، وضع نفسه، حسب الكاتبين، «في موقف يصعب تغييره، كما يصعب التفاوض حوله» (ص ٢٤٥).

أحمد شاهين